

تفسير ابن كثير

قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس : لما نزل قوله تعالى : { من ذا الذي يقرض اقرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة } قالت اليهود : يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل اقرضاً { لقد سمع اقرضاً قول الذين قالوا إن اقرضاً فقير ونحن أغنياء } الآية رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس ه قال : دخل أبو بكر الصديق ه بيت المدراس فوجد من يهود أناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص اتق اقرضاً وأسلم فو اقرضاً إنك لتعلم أن محمداً رسول اقرضاً قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل فقال فنحاص : واقرضاً يا أبا بكر ما بنا إلى اقرضاً من حاجة من فقر وإنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإننا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنياً ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر ه فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو اقرضاً فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين فذهب فنحاص إلى رسول اقرضاً صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول اقرضاً صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : [ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول اقرضاً إن عدو اقرضاً قد قال قولاً عظيماً زعم أن اقرضاً فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت اقرضاً مما قال فضربت وجهه فجدد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك فأنزل اقرضاً فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر { لقد سمع اقرضاً قول الذين قالوا إن اقرضاً فقير ونحن أغنياء } الآية [رواه ابن أبي حاتم وقوله { سنكتب ما قالوا } تهديد ووعد ولهذا قرنه تعالى بقوله : { وقتلهم الأنبياء بغير حق } أي هذا قولهم في اقرضاً وهذه معاملتهم لرسول اقرضاً وسيجزئهم اقرضاً على ذلك شر الجزاء ولهذا قال تعالى : { ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن اقرضاً ليس بظلام للعبيد } أي يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيخاً وتحقيراً وتصغيراً وقوله تعالى : { الذين قالوا إن اقرضاً عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار } يقول تعالى تكذيباً أيضاً لهؤلاء الذين زعموا أن اقرضاً عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها قاله ابن عباس والحسن وغيرهما قال اقرضاً D : { قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات } أي بالحجج والبراهين { وبالذي قلت } أي وبنار تأكل القرابين المتقبلة { فلم قتلتموهم } أي فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم { إن كنتم صادقين } أنكم

تتبعون الحق وتنقادون للرسول ثم قال تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم { فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير } أي لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك فلك أسوة بمن قبلك من الرسل الذين كذبوا مع ما جاءوا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة { والزبر } وهي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين { والكتاب المنير } أي البين الواضح الجلي